عين اتباع الجنائز ما جئنا كان اتباعها مطلوبا من الرجال دون غيرهم بل مأمورا به
أمر ظاهر مع أن النساء يخالفن الرجال في هذه المسألة ومن حيث ظاهر
على أن اتباعهن للقبور وذهابهن الى المقابر كان محرما عليهن حينا
ثم مباحا للرجال بل حينا كان مطلوبا منهم وحينا كانوا أشابين عليهم محرمين منه
فدل هذا على أنهن لم يكن مثل الرجال في هذه المسألة نهيا وترخيصا
ونهيهن عن اتباع الجنائز ان كان لأجل طلب الاحتشام والستر لهن كما قيل فإن
كان نهيهن عن الزيارة أولى وأحق وأخلق لأن منافاة الزيارة للاحتشام
والستر أعظم من منافاة اتباع الجنائز وإن كان لأجل منع الاختلاط
أي اختلاط الرجال بالنساء كانت الزيارة أيضا أولى بالمنع بالنهي والتحريم
لأن الاختلاط الذي يقع في الزيارة أكثر
من الاختلاط الذي يقع في اتباع الجنائز. وإن كان لأجل ما جبلن عليه
من الجزع وقلة الصبر واحتمال المصيبة وإن كان ذلك لأجل ابعادهن
عن هذه المواضع لأنهن لا يتحملنها لما جبلن عليه من كثرة الجزع
والضعف وقلة الصبر واحتمال المصائب كان أيضا نهيهن عن
عن الزيارة أولى وكان ابعادهن عنها أحرى أحسن من ابعادهن عن اتباع
الجنائز وإن كان ذلك من أجل الخوف على اعتقادهن وايمانهن
أن يصيبه الشرك والاعتقاد القبيح في الأموات كان نهيهن عن هذه
الزيارة أولى بلا ريب. وإن كان لغير ذلك فمنعهن من الزيارة على
كل حال أولى لأن كل ما في الاتباع من شر وفساد وضلال يوجد في
الزيارة وليس كل ما في الزيارة من ذلك يوجد في الاتباع بل ما فيه من شيء
ويخاف في اتباع النساء الجنائز لا يوجد في زيارتهن المقابر كما
يوجد غيره وفي الزيارة أنواع من الفساد لا توجد في الاتباع. فإنه لا يمكن

أن ننهى النساء عن اتباع الجنائز ثم يباح لهن زيارة المقابر. أن هذا لمن
واضح البطلان والفساد. فالذي نراه نحن هذا ونختاره أن النساء منهيات
عن زيارة المقابر وأنهن غير داخلات في الترخيص العام المفهوم من قوله صلى الله عليه
وسلم «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة» للدلائل
التي ذكرناها والوجوه التي أشرنا إليها وإن كانت المسألة لا تعد عندنا من المسائل
اليقينية القاطعة التي يضلل المخالف فيها أو يجهل أو يعنف
ثم إن الذي نراه في سبب منعهن من الزيارة مع الإذن والترخيص للرجال
أن هذه المسألة وأمثالها من المسائل تتصل بالنفس أكثر من اتصالها بالواقع
والحقيقة والمرأة خلقت أضعف نفسا ووجدانا وعقلا وقلبا وحقيقة
من الرجل وهي تتأثر بالأمور التي تمس العاطفة والوجدان والشعور تأثرا
الأسرع أكثر من تأثر الرجل، ثم هي تدين للحس دون العقل أكثر من الرجل
فالمرأة لا تخرج عن نطاق الطفولة في أطوار حياتها كلها من ناحية الوجدان والضعف
النفساني والركاكة الفكرية العقلية والذوبان الذهني السخيف وإن خرجت عن
ذلك في ثقافتها وتعليمها وذكائها وأدبها الفني والصناعي. فهذا لا ننفيه ولا
ننكره لها وعليها. فالمرأة قد تكون من ناحية التعليم
الثقافة الفنية المدرسية الصناعية نابغة هائلة ولكنها لن تخرج من ناحيتها الطبيعية
الضعيفة عن أن تكون امرأة غريزة تدين بالخرافات والجهالات وضروب الأوهام أكثر من أن
تدين لثقافتها وعلمها وذكائها. ثم لن تخرج عن أن تكون امرأة رعناء جاهلة. ولهذا
فإننا لا نجد فرقا كثيرا ظاهرا بين المرأة المتعلمة العالمة وبين المرأة الأمية
الجاهلة في الأمور التي ترجع الى قوة النفس والعقل والوجدان بل نجد المرأتين من هذه
الناحية أختين جاهلتين لم يغير منهما التعليم ولا الثقافات والشهادات
فكما نجد الجاهلة الأمية تخضع للدجالين المشعوذين كذلك نجد المثقفة المتعلمة وكما نجد